محاضرة في أنثروبولوجيا الاتصال

د. باغور يمينة (جامعة تلمسان)

التواصل الكتابي في المجتمعات التقليدية

تعريف التواصل الكتابي:

يشير التواصل الكتابي إلى عملية نقل المعلومات أو الأفكار أو الخواطر من خلال الرموز المكتوبة والكلمات المكتوبة ويتضمن استخدام اللغة الكتابية للتعبير ويستعمل هذا النوع عندما تكون المعلومات المراد نقلها طويلة ولا يمكن تفسيرها شفويا.

الكتابة تنقل المعلومات أو تعطيها أو تستدعيها وتجعل الإنسان يتخيَل فالكتابة لها تأثيرات على الجانب المعرفي لدى الفرد الذي يقرؤها.

اللغة هي المظهر الأكثر وضوحا للثقافة في الكتابة فهي تعكس الفروق الدقيقة في اللغة (المصطلحات – الاستعارة – تركيب الجمل – الأعراف والقيم الثقافية).

تتخذ الاتصالات المكتوبة أشكالا عديدة مثل الرسائل والخطابات والمذكرات والتقارير والبريد الالكتروني وهي تتيح سجلا دائما للمعلومات مما يجعلها مفيدة للرجوع إليها أو مشاركتها مع الآخرين مستقبلا.

ظهور الكتابة:

جاء ظهور الكتابة كمرحلة ثانية بعد المرحلة الشفوية وكان السومريون أوَل من اخترع طريقة للكتابة على الطين الليَن حوالي 3600 ق.م، ومرت الكتابة بمراحل ففي البدء كانت تصويرية تعتمد على الصور والرموز ثم تطورت حين اخترع الفينيقيون الحروف الأبجذية في الحقبة الواقعة بين 2000-1000 سنة قبل الميلاد ليكمل الإغريق مسيرة تطوير الكتابة باختراعهم الأبجدية التي تشمل الحروف المتحرَكة في القرن 6 ق.م

وبعد الكتابة على الجدران والطين اخترع المصريون القدامى ورق البردي حوالي 2500 ق. م كما تمكَن الصينيون من اختراع الورق من لحاء شجر التوت حوالي 105 م وفي القرن الثامن الميلادي استعمل العرب المسلمون ألياف الكتان في صناعة الورق.

أهمية التواصل الكتابي:

- اتسمح الكتابة بالتنظيم الجيد للأفكار بطريقة منطقية

- تسمح بتخزين المعلومات للرجوع إليها في المستقبل

- تسمح بنقل المفاهيم المعقدة بطريقة موجزة ومقنعة.

- تساهم الكتابة في تعزيز مشاعر التواصل والتفاهم من خلال التعبير الواضح والصحيح.

دعائم التواصل الكتابي الناجح:

- الوضوح والإيجاز: يجب استعمال لغة بسيطة وتجنب المصطلحات المتخصصة (الفنية)

- القواعد النحوية والإملائية: يجب أن تكون القواعد سليمة لنقل الأفكار بدقَة (يجب أن تكون الكتابة خالية من الأخطاء واضحة القواعد والترقيم)

- التنظيم والبنية: في الكتابة يجب توفر نص له مقدمة وخاتمة ويجب استخدام فقرات لفصل الأفكار بشكل فعال واستخدام العناوين أو النقاط الأساسية لتحسين قابلية القراءة

- التفكير النقدي والتحليل: في الكتابة يجب تقديم حجج مدعومة جيدا وتقديم المعلومات المعقدة بطريقة واضحة ومنطقية

- الوعي بالجمهور المستهدف: أي فهم احتياجات الجمهور واهتماماته لتكييف أسلوب الكتابة وفقا لذلك

التعارض الشفهي/ الكتابي:

في مقاله (بين الشفهي والمكتوب) يقول (بول زومتور) التقليد الشفهي لا يقتصر على الحكايات والأساطير والألغاز والأغاني ولكنه يشمل كامل الخطابات التي يحملها المجتمع عن نفسه بهدف ديمومته، أمَا الكتابة فيحكمها الزمن بشكل اقل استبدادا وهي تفلت من تأثيره بشكل أفضل في ماديتها البصرية حتى لو كان يتحكم في انتاجها (في المنبع) وقراءتها (في المصب).

ويضيف قائلا: الكتابة تربط الفرد بكيان إنساني أكبر من المجموعة التي يتقاسم معها التقليد الشفهي، ففي الثقافة الشفهية يفترض تبادل الكلمات وجها لوجه (القرب الشديد) بينما يتكاثر النص المكتوب ويوحَد المعلومات من أجل عالم فردي فكريا ومشتت جغرافيا، الكتابة تبدأ بتفكيك علاقة الفرد بالمجموعة من أجل نقلها إلى مجتمع أكبر ومختلف .

وبهذا لم تعد كلمة أسلافنا القدامى تضمن العلاقات بين الأفراد، بل السلطة المزدوجة للسوق والدولة المختومة بالكتابة والمجسَدة بالعقد والقانون هي التي أصبحت تنظَم هذه العلاقات.

لكن (بول زومتور) في نهاية مقاله يلاحظ بأنَ النص المنفصل عن الإنسان (ويقصد به النص الكتابي) هو نص قابل للفحص والتحليل والشك والتدنيس وحتى التدمير على عكس النص الشفهي ، كما يؤكد على أنَ من خصائص النص المكتوب أنَه يختزل نفسه في مجرد ناقل للنص الشفهي (الكتابة هي نسخ للتقاليد الشفهية وتسجيلها) ويختم بقوله بأنَ لا أحد ينكر الأهمية التاريخية لاختراع الكتابة ولكن الكتابة لم تحدث القطيعة مع الشفهي.

(www.persee.fr :Entre l’oral et l’écrit, Paul Zumthor)

جاك غودي : منطق الكتابة (الكتابة وتنظيم المجتمع)

قدمَ عالم الأنثروبولوجيا جاك غودي (2015/1919) وجهة نظر فريدة حول آثار الكتابة في تطوَر وتنظيم المجتمعات، وقام بتفسير ذلك من خلال أربعة مجالات أساسية للأنشطة الإنسانية (الدين والاقتصاد والإدارة والقانون)

ركَز (غودي) في كتابه (منطق الكتابة: الكتابة وتنظيم المجتمع) على مكانة الكتابة في تنظيم المجتمعات وانتشار الأديان والغلبة السياسية والاجتماعية لطبقة من العلماء وتشكيل الدول القومية وتفكّكها وظهور الأشكال الأولى من البيروقراطية وترشيد العمليات القانونية وتطوير اقتصاد معقد باستخدام المحاسبة والتعداد وتقنيات الإئتمان (كل هذه الظواهر لعب فيها انتشار استخدام الكتابة دورا رئيسيا).

في الفصل الأوَل من الكتاب يرى (غودي) أنَه من خلال الانتقال إلى الكتابة أصبحت المبادئ الدينية أكثر عالمية لأنَ المبادئ المكتوبة مطلوبة للتطبيق بشكل لا لبس فيه (ثبات الكلمة المكتوبة يفرض ديمومة المبادئ مع مرور الوقت) في حين أنَه في التقليد الشفهي يمكن أن يحدث تطوَر تدريجي وغير محسوس للمبادئ على مدار الزمن، ويضيف (غود) بأنَه لا يمكن إلاَ للثورة أن تعطَل عملية نقل التقليد المكتوب (ومن هنا نفهم أهمية الأحداث الثورية التي ألقيت فيها النصوص في النار علنا وأحرقت)

في الفصل الثاني يتناول (غودي) العلاقة بين الكتابة والاقتصاد (وهو على الأرجح أوَل مجال من مجالات النشاط الذي ظهرت فيه الكتابة) فمن خلال ما وصلنا من الحضارات المصرية والآشورية والصينية نكتشف أن الكتابة كانت تسهَل تسجيل المشتريات والمبيعات والديون (الكتابة استبدلت الذاكرة البشرية بكمية كبيرة من البيانات المحفوظة)، كما أحدثت الكتابة أيضا تغييرا في طريقة تسوية النزاعات (اتخاذ المستندات المكتوبة كمرجع).

كما كان للكتابة تأثير كبير على إدارة الدولة من خلال إنشاء حسابات ضريبية مركزية وبفضل الكتابة تمكَنت الدول المتجاورة من التواصل فيما بينها وإقامة علاقات سياسية واقتصادية

المراجع:

-Thibault De Meyer: Jack Goody la logique de l’écriture, journals.openedition.org, les comptes rendus/2018

-Paul Zumthor: Entre l'oral et l'écrit, www.persee.fr

-Jean Marie Privat: Société orale- société écrite, journals.openedition.org, https://doi.org/104000/pratiques.6817